

ولا شك في أن ذلك التأثير المنشود يتطلب جودة الرؤية وتمام الوضوح الذى ينشأ عنه الإدراك ومعرفة ما اشتمل عليه العمل الأدبى من المعانى السامية والأخيلة البديعة ، وما عبر عنه الأديب ، وما شرحه من التجارب ، ومن أحوال النفس وعواطفها وانفعالاتها . وعن هذه المعرفة يكون التأثير ، وتكون المشاركة فى الإحساس بما عاناه الأديب فى تجاربه .

ومن الأفكار السائدة أنه كلما اتسعت دائرة التأثير ، بمعنى أنه كلما كثر عدد المستجيبين للعمل الفنى ، كان ذلك أدل على عظمة الفن ، وعلى قدرة الفنان . وليس هناك شك فى صحة هذا الرأى الذى يتطلب الوضوح ، ويحرص عليه حتى تكون المعانى والأفكار ، وكذلك المشاعر والعواطف ، فى متناول الناس جميعاً ، أو فى متناول عدد كبير منهم ، وهو العدد الذى يمكن أن يصل إليه هذا الفن فى بيئة الأديب ، وفيما وراءها . بل يتعدى ذلك الفن حدود الزمن ، وينتقل فى الأزمان المتعاقبة ، وفى الأجيال المتباينة ، فيجد فيها من التأثير ومن الاستجابة ما وجد فى بيئته الأولى ، وفى الجماعة التى عاشت فيها ، ولا يتسنى ذلك إلا إذا توافر للمعانى الأدبية الانجلاء والانكشاف ، حتى يتم الإدراك ، ويحدث التفاعل والتأثر المطلوب بالأدب وبالفنون .

ولا سبيل إلى ذلك الكشف إلا أن تسفر العبارة عن معانيها ، وتكشف الألفاظ عن حقيقة كل مايراد منها ، فلا يتكلف القراء أو المستمعون شيئاً من الجهد أو العناء فى تأمل ما يقرأون وما يسمعون ، حتى يصلوا إلى مايريد الأدباء تأديته من الآراء أو الأفكار أو المعانى ، فلا يقدمون إليهم إلا ما يرون أنهم يطبقون إدراكه من المعانى الواضحة المؤداة فى أسهل عبارة ، وأيسر ما يستطيعون من وسائل الأداء .

وذلك رأى فريق من الأدباء والنقاد منهم « أناتول فرانس » الذى يرى أنه كلما أنعم النظر بدا له أنه لاجمیل إلا السهل . ويقول : « قد فرغت من ذوق الغوامض ، وصرت أرى أن الشاعر أو القاص الذى لا يعاب هو الذى يتجنب أن يكلف قارئه أى تعب ، ولو كان يسيراً ، وأن يجشمه أية صعوبة ، ولو كانت طفيفة . ومن الخير له أن يفاجئ القارئ لأنه ينتزعه منه انتزاعاً ، وأن يحذر التعويل على صبر القراء ، وأن يعتقد أنهم لا يقرأون إلا إذا كان ما يقرعون سهلاً .